

حديث حول منهج السلف

للشيخ / سلمان بن فهد العودة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه واتباعه الي يوم الدين وسلم تسليما كثيرا . أما بعد

فهذه المحاضرة هي كما سمعتم بعنوان " حديث حول منهج السلف " وهي تنعقد في هذا المسجد مسجد التنعيم بمكة المباركة في هذه الليلة ليلة الثلاثاء العاشر من شهر شعبان من سنة ألف وأربعمائة وثلاثة عشر للهجرة .

يا أيها الأخوة الحضور من أهل مكة البلد الحرام وقاطنيها وساكنيها ويا أيها الحضور الطارئين علي مكة القادمون إليها .

السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته .

أحبائي يامهوي الفؤاد تحية	تجوز إليكم كل سد وعائق
لقد هدني شوق إليكم مبرح	وقرح جفني دافق بعد دافق
وأرقتني في المظلمات عليكم	تكالب أعداء سعوا بالبوائق
فمنهم عدو كاشر عن عدائه	ومنهم عدو في ثياب الاصادق
ومنهم قريب أعظم الخطب قرية	له فيكم فعل العدو المفارق
أردتم رضا الرحمن قلبا وقالبا	ولم يطلبوا إلا حقير الدوائق
فسدد في درب الجهاد خطاكم	وجنبكم فيه خفي المذاق

أيها الأخوة الأعبة . حديثي اليكم في هذه الليلة ينتظم في سبعة عناوين :

• مقدمات

هذا الحديث ليس محاضرة علمية عميقة دقيقة حول هذا الموضوع الكبير الخطير موضوع " منهج السلف " أو موضوع " المنهج " فقد كان أصل عنوان هذه المحاضرة " حديث المنهج " ثم رأى الإخوة الفضلاء المشايخ القائمون على هذه المحاضرة تعديل العنوان كما أعلن وحسنا فعلوا فقد أصابوا مافي النفس وما في القلب فإن المقصود بالمنهج هو المنهج الشرعي الذي كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتها رضي الله تعالى عنهم أجمعين فهذا الحديث ليس حديثا علميا عميقا ولكنه حديث من طرف الذهن وفي موضوعات نتذكر فيها ونتباحث فهو كما يقال تذكير بصوت مسموع فما كان منه من صواب فمن الله تعالى وحده وهو المستحق للحمد وما كان خطأ فمني ومن الشيطان والله تعالى ورسوله منه بريئان واني أسألكم ما وجدتم من حق فاقبلوه قبولاً حسناً فأنتم حريون بذلك وهو به حري وما وجدتم من خطأ فردوه على قائله كائن من كان فإن العبرة بالحق لا بمن قاله .

ثم ان الحديث عن المنهج اصبح اليوم ضرورة لأسباب عديدة منها :

أولاً : أن مسألة المنهج مسألة مهمة في اضطراد مسيرة الإنسان سواء كانت مسيرته العلمية أو العملية وسواء كان الإنسان فرداً أو جماعة بحيث تنتظم مسيرته وتضطرد ولا تتذبذب فأنت تجد بعض الناس له في كل يوم مشيه وله في كل واد منهج وطريق فهو يهدم اليوم مابنى بالأمس ويهدم غدا مبناه اليوم لماذا لأنه ليس له منهج واضح ينطلق منه في عمله فهو يبدأ اليوم بحفظ القرآن فإذا حفظ من القرآن شيئاً قال وجدت الناس ذهبوا بعلم الحديث فترك حفظ القرآن وأقبل علي الحديث فإذا أخذ منه شيئاً قال المهم علم الفقه والحلال والحرام فترك الحديث وذهب الي الفقه وهكذا يقضي عمره كله يتذوق العلوم ويتذوق الفنون ويتذوق المناهج ويتذوق الطرائق ولا يخرج منها بطائل. إذا المنهج ضروري أولاً في اضطراد مسيرة الإنسان وانتظامها وانضباطها وعدم تذبذبها.

ثانياً : والمنهج مهم ثانياً لاننا اليوم نعيش صحوة إسلامية شاملة في كل مجالات الحياة وفي كل بقاع الأرض صحوة تعيشها بلاد الإسلام كلها ومالم تكن هذه الصحوة منضبطة بمنهج شرعي واضح فإنها قد تضيع كما تضيع ماء الأمطار إذا تدفق في الوديان ثم انطلق الي الصحاري فلم ينتفع منه أحد بل قد تضيع كما تضيع مياه الأمطار إذا انطلقت إلي المزارع والحقول والمباني فهدمتها وأغرقتها وأنت علي الأخضر واليابس فيها إذا ان هذه الصحوة الإسلامية تحتاج لتكون صحوة بناءة راشدة قوية مثمرة ناضجة تأتي بالري وتأتي بالخير تحتاج الي منهج يضبطها و يقوم مسيرتها ويوجه صفها ويقود خطاها .

ثالثاً : ونحن نحتاج الي المنهج ثالثاً لأننا بحاجة الي تجلية هذا المعني وبيان هذه الكلمة كلمة المنهج التي كثر استعمالها الآن دون وضوح في الدلالة فإنني أكاد لا أعرف كلمة أكثر ترددا علي ألسنتنا اليوم من كلمة المنهج " المنهج ، المنهج ، المنهج " ولكن حينما تسأل أي متحدث ما هو المنهج وماذا تقصد بالمنهج وماذا تريد به فربما قلب عينيه وحملق فيك

وشعر بأنه فعلا بحاجة الي أن يجلي هذه الكلمة ويوضح معناها .

• أصل الكلمة الشرعي

هو حديث عن هذه الكلمة في أصلها الشرعي جاءت هذه الكلمة في القرآن الكريم في قوله عز وجل [لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا] وجاءت أيضا في أحاديث من أشهرها الحديث الصحيح [تكون فيكم النبوة ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله تعالى إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة علي منهاج النبوة ما شاء الله تعالى أن تكون ، ثم يرفعها الله تعالى إذا شاء أن يرفعها ، ثم يكون ملكا جبريا ثم يكون ملكا عاصيا ثم تكون فيكم خلافة علي منهاج النبوة ثم سكت صلي الله عليه وآله وسلم] .

إذاً المنهاج او المنهج يعني بها الطريقة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم في حكم الأمة فإنه عليه الصلاة والسلام وإن كان نبيا مرسلًا مؤيدا بالوحي من السماء إلا أنه كان حاكما في أمته عليه الصلاة والسلام يقيم الحدود ويجبي الزكاة وبوزعها ويبعث العمال إلي الأمصار ويأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويعقد العقود ويقوم الحروب ويبرم معاهدات السلام كما هو معروف في تفاصيل سيرته فإذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق تكون خلافة علي منهاج النبوة فالمعنى أنه عليه الصلاة والسلام زكى الخلفاء الراشدين من أصحابه أنهم يحكمون بهديه وسيرته بالعدل والانصاف والحكم بما أنزل الله وعدم التغيير أو التبديل وهكذا زكى النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة الراشدة التي تأتي في آخر الزمان علي منهاج النبوة وقد ذهب بعضهم الي أن المقصود خلافة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه والأقرب والله أعلم أن الخلافة علي منهاج النبوة قد تكون هي خلافة في آخر الزمان علي يد المهدي الموعود الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بظهوره فإنه سكت بعدها مما يدل علي أنها آخر الأمر ونهاية المشوار وأنها خلافة يجتمع عليها المسلمون . وهذا لا يمنع أن يوجد في تاريخ الاسلام كله سواء في عهد عمر بن عبدالعزيز أو فيمن بعده من خلفاء بني أمية أو بني العباس أو من بعدهم أو ما يأتي به الله تعالى أن يكون في الأمة من يحكم بالعدل والقسط في رقعة " محدودة " من المكان أو في حيز محدود من الزمان فهذا لا يمنع منه بل الظاهر والأقرب والله تعالى أعلم أن ظهور المهدي عليه السلام لابد أن يكون له إرهابات وبشائر ودلائل تسبقه في هداية الناس وصلاتهم وانتظام أمرهم ووجود نوع من الخير فيهم فإن المهدي الذي وعد به النبي صلى الله عليه وسلم لا يبعث إلي أمة ميتة لينفخ فيها الحياة كلها فإنه لا يحيي الموتى ولكنه يبعث إلي أمة قد دبت فيها الحياة ووجدت فيها الهداية وهي بحاجة إلي قيادة ربانية فيختار الله تبارك وتعالى لها برحمته وقوته هذا الرجل الراشد الذي يقود الأمة تلك الأزمنة المظلمة . فهذا معنى قوله ثم تكون خلافة علي منهاج النبوة يعني علي طريقة النبوة علي سنة النبي صلى الله عليه وسلم وعلي هديه في الحكم بالقسط والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة شريعة الله تعالى في عباده .

والملاحظ أن معنى كلمة المنهاج سواء في الآية الكريمة أو في الحديث أو في غيرهما جاء معني عاما غير محدد فهو يعني الطريقة أو السنة أو السبيل أو ما أشبه ذلك من المعاني. إذا كلمة المنهج أو كلمة المنهاج هي كلمة عامة مجملة وهي تكتسب معناها بحسب ما تضاف إليه فحين

نقول مثلا منهاج النبوة نعني به طريقة النبوة في الحكم والسياسة كما جاء في الحديث وحين نقول منهاج السنة كما في كتاب الامام ابن تيميه رحمة الله منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والقدرية فإن المقصود الطريقة الواردة في السنة النبوية في أبواب الاعتقاد كلها ، في أبواب الإيمان ، في أسماء الله تعالى وصفاته ، في أبواب الصحابة رضي الله عنهم ، في النبوات ، في الإيمان في اليوم الآخر ، في الجنة والنار وما أشبه ذلك في أبواب الاعتقاد المفصلة المعروفة. والمقصود أيضا المخالفة لما عليه أهل البدع من الرافضة والمعتزلة والقدريه وغيرهم الذين تنكبوا هدي النبي صلى الله عليه وسلم وهدي أصحابه وخالفوا ماكانوا عليه ، ولهذا كان العلماء يلقون كتبنا يسمونها كتب السنة كما في كتاب السنة للإمام اللالكائي ولابن نصر المروزي ولعبدالله ابن الإمام أحمد وللأشرم ولغيرهم يصنفون كتبنا في السنة ولابن ابي زمانين أيضا يقصدون بها تدوين أبواب الاعتقاد التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتي خالف فيها المخالفون الذين غيروا وبدلوا وهكذا حين نقول منهاج فلان من الناس فإن المقصود طريقته وقواعده وأسسها التي سار عليها في مصنغاته أو في علمه أو في عودته فحين نقول مثلا منهاج الإمام الطبري في التفسير نقصد بها الأسس التي سار عليها الطبري في تفسير كتاب الله تعالى وفي تأليف كتابه العظيم المعروف في ذلك من الأخذ من القرآن ومن الحديث ومن أقوال السلف والسياق بالإسناد واختيار الراجح وما أشبه ذلك من القواعد الأساسية الكلية التي سار عليها . وهكذا حين نقول مثلا المنهج المدرسي أو منهاج المدرسي نقصد به المقررات التي يراد من الطلاب أن يدرسوها في مكان أو زمان أو مدرسة أو مستوى معين إذا كلمة المنهج كلمة عامة تكتسب معناها بحسب ما تضاف إليه ، بل إن هذه الكلمة قد تستخدم في الخير أو في الشر فأنت تقول هذا منهج الصالحين . وهذا منهج الضالين ولهذا قال الشاعر :

أمامك فانظر أي نهجين طريقان شنتي مستقيما
تنهجو وأعوج

ألا أيها الناس طال
ضربكم لآل رسول الله فاحشوا
أو أرتج

إذا فهو يقول طريقان ومنهجان ، منهج الحق ومنهج الباطل ، منهج الهدى ومنهج الضلال منهج الخطأ ومنهج الصواب ، منهج الإيمان ومنهج الكفر منهج التقوي ومنهج الفجور ، كلاهما يسمى منهج وبهذا ندرك أن هذه الكلمة كلمة عامة تكتسب المعنى بحسب ما تضاف إليه فإذا قلنا منهج السلف كما هو ظاهر في العنوان فالمقصود الطريقة التي كان عليها السلف رضي الله عنهم ، لكن في ماذا ؟ في كل شيء ، منهج السلف رضي الله عنهم في الاعتقاد ، في أبواب الإيمان بالله ، والأسماء والصفات ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية ، منهج السلف الصالح في الإيمان بالدار الآخرة ، منهج السلف الصالح في الصحابة ، منهج السلف الصالح في الخلق والسلوك منهج السلف الصالح في العبادة ، منهج السلف الصالح في التعليم ، منهج السلف الصالح في الجهاد ، منهج السلف الصالح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن المقصود به حينئذ المنهج والطريقة العامة التي تحكم كل شؤون الحياة ، ولانغادر منها صغيرة ولا كبيرة ، ولا تترك منها شاذة ولا فائدة ، فإن السلف الصالح رضي الله عنهم كان منهم من يعقدون مجالس العلم

في المساجد ، ومنهم من يذهبون الي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مجالات الحياة ويحتسبون علي الصغير والكبير ، وكان منهم من يذهبون الي ميادين القتال ، ويجاهدون في سبيل الله ويرابطون علي الثغور ، وكانوا جميعا مثل عليا بأخلاقهم مع أهلهم ، في تعليمهم ، في عبادتهم في تقواهم ، في أخلاصهم ، في دعوتهم الي الله ، وفي كل أعمال الخير ، فهذا هو المنهج الذي كانوا عليه .

• الكلمة المظلومة

إنه لا يكاد يضاهاه هذه الكلمة كلمة أخرى في تردها علي الألسن ، ألسن الكبار والصغار ، العلماء وغير العلماء ، المختصين وغير المختصين ، حتى إنك تجد الكثيرين يرددون هذه الكلمة وكأننا حين نردها نريد أن نعوض في هذا التردد عن الشعور بالحاجة إلي ضبط المسير ، فكلنا متفقون علي ضرورة تصحيح المسير ، وضبط الخطوات ، والمراجعة والإنضباط ، وعدم التردد أو التذبذب ، أو تكرار الأخطاء التي وقع فيها غيرنا ، ولكن الكثيرين أيضا ربما يحتاجون مزيد من التوجيه في هذا ، فيظن البعض أن مجرد ترديد المنهج يعني في هذا والواقع أنه لا يعني ، فنحن أحيانا مثل المريض الذي يذهب الي الطبيب ، فيقول له الطبيب مثلا بإمكانك أن تشتري نوعا معيناً من العلاج وليكن الإسبرين فبدلاً من أن يتعاطي هذا العلاج ويشتريه فإنه يلجأ الي يردد هذه الكلمة إسبرين إسبرين إسبرين ويظن أن هذا التردد ربما شافاه من الصداع . وأحيانا نردد هذه الكلمة وكأننا نعوض بها عن فقد الدليل الشرعي ، فإن الجميع متفقون أو يجب أن يكونوا متفقين علي أن العبرة ليست بكلام فلان مهما كان قدرة أو علمه أو منزلته أو جاهه أو مكانته الواقعية أو التاريخية ، وإنما العبرة بالدليل قال الله قال رسول الله أو بإجماع علماء هذه الأمة . فإذا لم يكن لدي أحيانا دليلاً صريحاً صحيحاً فإنني قد أزين هذا المنهج وأزر كنيته لأحتمى به ، وربما أحاول أن أجعل كلمة من شخصاً ما من السابقين أو اللاحقين ولو كان إماماً أو حجة فضلاً عن أن يكون شخصاً عادياً ربما أحاول أن أجعل هذه الكلمة دليلاً . كيف أجعلها دليلاً وهي كلام بشر يحتاج الي أن يستدل له ، لا تستدل به ، أحاول أن أجعلها دليلاً حين أربطها بكلمة المنهج ، فأقول المنهج كذا ، ولهذا قال فلان كذا وقال فلان كذا ثم أظن بذلك أنني صنعت شيئاً ولا أدل علي كون هذه الكلمة مظلومة من حديث مثلي عنها في هذا المجال والله تعالى وحده هو المستعان .

نعم إن الاصطلاح أمر سائغ فبإمكانك أن تصطلح كما تشاء وكما يقول العلماء [لا مشاحة في الاصطلاح] يعني أي طائفة من الفقهاء أو الأصوليين أو المفسرين أو المؤرخين أو علماء الاجتماع أو علماء النفس أو غيرهم بإمكانهم أن يتفقوا علي مصطلحات معينة لعلمهم ، تعبر عن بعض المعاني التي تتكرر لضمان عدم التكرار وما أشبه ذلك ، فهذا أمر لا بأس به بل لا يوجد علم قط إلا فيه مصطلحات خاصة بأهله يتداولونها فيما بينهم وقد يتداولها الناس ولكنها تظل مصطلحات لا تتحول الي شريعة ملزمة ، ولا تتحول الي نص واجب الإتياع علي كل أحد ، ولا تتحول الي دعوة قائمة لايسع أحد أن يخالفهما بحال .

• مناهج شتى

إننا اليوم امام مناهج شتى في كل مجالات الحياة ، ولو حصرنا الحديث في المجال الشرعي لوجدنا أن للعلماء مناهج مختلفة ، فمثلاً في الفقه

هناك مناهج كثيرة في الاستنباط فطريقه الامام الشافعي في الاستنباط ليست كطريقة مالك وطريقة أبي حنيفة ليست كطريقة أحمد وطريقة الأوزاعي ليست كطريقة سفيان الثوري وهكذا ، ففي مجال الفقه واستنباط الأحكام الشرعية من القرآن والسنة يختلفون في ذلك اختلافا واسعا ، ومثل ذلك الحال في الدراسات الأصولية فأصول الأحناف غير أصول الشافعية مثلا ومثله أيضا في التفسير فتفسير القرطبي ليس كتفسير الطبري ، وتفسير أبي عطية ليس كتفسير أبي حيان ولكل واحد منهم منهج خاص يميزه في الدراسة والاستنباط ويختلف به عن غيره من العلماء سواء كانوا من علماء فقه أو من علماء آخرين.

بل وحتى حين ننظر في مناهج الدعوة والعمل تجده أن منهاج العلماء تختلف ، ولاضرب لك مثلا فقط هذا الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى إن الذي يقرأ سيرته وتاريخه وعلمه وجهاده يبدا له جليا واضحا أن شيخ الإسلام ابن تيمية متفرغا لدعوته ، ولعلمه ، لجهاده ينتقل من بلد الي بلد بل ينتقل أحيانا من سجن الي آخر وناظر كثيرا من الفقهاء واختلف معهم واتفق مع آخرين وناقشهم وناقشوه وناظرهم وناظره بل وفيهم من قال فيه ما قال وحاربه وتسبب له ، بل بعضهم سعي في الوشاية به إلي أن يقتل ومع ذلك ظل شيخ الإسلام ابن تيمية ملتزما سنن العدل والبعد عن الظلم والعدوان والانتقام والانتصار للنفس وغير ذلك من المعاني ، ومن المعلوم أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لم يتقلد وظيفة قط طيله عمره ، لم يتولي القضاء ولم يتولي عملا آخر ليس لأنه يعتقد أن الوظائف حرام ، كلا بل يعتقد أن الوظائف قد تصل الي حد الوجوب أحيانا كما صرح في فتاويه بذلك ، ولكن لأنه يري أنه بالنسبة له هو شخصا أن بقاءه في الميدان الطلق يذهب الي هنا وهناك ويقول كلمة الحق ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، يحتسب علي الكبراء وعلي الصغار وعلي العلماء وعلي العامة وعلي الخاصة وعلي الجميع رأي أن هذا هو الأليق بحاله ، وكان له تلاميذ ومريدون يذهبون معه وينقلون علمه ويكتبون عنه ويأمرون بالمعروف وينهون معه المنكر حتي أنهم ذهبوا الي جبال النصيرية وقطعوا أشجارهم واحتسبوا عليهم والزموهم بالسنة ، وحتى أنهم يرون الخمر فيريقونها في الشوارع ويرون المنكرات فيكسرونها وما ذلك إلا أن السلطة المركزية ضعفت في عهد ابن تيمية رحمه الله فلم تكن تغير المنكرات ولم تكن تأمر بالمعروف كما يجب وأصبح بإمكان العلماء أن يقوموا بذلك والله تعالى يقول " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " وأولوا الأمر كما هو معروف هم العلماء والأمراء فطاعة العلماء واجبة أيضا كما يطاع الأمير في طاعته الله تعالى طاعة بالمعروف.

المهم أن ابن تيمية رحمه الله كان له منهج واضح متميز في علمه وفي دعوته وفي جهاده وفي أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وهذا هو المقصود أما تميزه رحمه الله من المجالات الأخرى فهذا ظاهر معروف لكنه ليس هو مجال حديثنا وإلا فإنه رحمه الله كان شجاعا في الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح، وتجربتها والاستدلال لها بطريقه لم يكد يسبق إليها إلى غير ذلك من ألوان العلوم التي فتح الله بها على هذا الإمام الذي ندر أن يوجد مثله، واليوم نجد أن مناهج الدعوة إلى الله قد تنوعت وتعددت وكثرت في معظم بلاد الإسلام، بل في كل بلاد الإسلام، فكل له منهج وطريقة يدعو بها إلى الله تعالى أو يأمر بها بالمعروف وينهى بها عن المنكر أو حتى يعلم الناس فيها القرآن والسنة فما هو ياترى الأنسب أمام هذه المناهج المختلفة، هل الأنسب والأقرب بمقاصد

الشرع هو هدم هذه المناهج على رؤوس أصحابها كما يقال والقضاء عليها و اعلان الحرب أم إن الأنسب هو السعي في الإصلاح والتعديل لتكون منسجمة مع النص مع القرآن مع الحديث مع الدليل الشرعي. أبها الأحبه إنني و أنا أتحدث إليكم في مثل هذا لأمر فإنه يعلم الله تعالى أن ليس في قلبي إلا المحبة للمؤمنين المخلصين لدينهم مهما تعددت مناهجهم واختلفت طرائقهم وتباينت اجتهاداتهم متى ما كانوا ملتزمين بالقاعدة العظمى التي هي قاعدة الرد إلى الله والرسول " فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر " فهذا هو بيت القصيد وهذا هو المحل الذي يجب أن ندعوا الناس إليه لأنه من الخطأ أن أدعوا الناس إلي شخصي أو إلي طريقتي أو إلى مذهبي أو إلى اجتهادي أو إلى رأيي فإنه على احسن الأحوال كما كان يقول الإمام الشافعي رحمه الله هو صواب يحتمل الخطأ ورأي الغير خطأ يحتمل الصواب والواحد منا قد يقول اليوم كلمة ويرجع عنها غداً إذا القضية هي الدعوة إلى الكتاب والسنة " فردوه إلى الله والرسول " أما رأيي أنا ورأيك أنت ورأي زيد ورأي عبيد فهو كلام وقول قد يوافق الكتاب والسنة فيؤخذ به لا لأنه رأي فلان ولكن لأنه يوافق الكتاب والسنة وقد يكون اجتهاداً في غير محله فيرد على قائله كما أسلفت.

ولأضرب لذلك مثلاً يتعلق أيضا بموضوع المذاهب الفقهية وإنما اخترت موضوع المذاهب الفقهية لأنه أوضح وأظهر، فإن من الممكن و نحن الآن أمام مذاهب مختلفة أشهرها المذاهب الأربعة ولكن هناك أكثر من عشرة مذاهب غالبها موجود أو كلها موجود في العالم الإسلامي، فهناك مذهب الاوزاعي وهناك المذهب الظاهري وهناك مذهب سفيان بطبيعة الحال فهناك مذهب أهل الحديث إلى غير ذلك من المذاهب الفقهية. هذه المذاهب من الممكن أن يعلن إنسان الحرب عليها بصورة واضحة على دعائها و على فقهايتها لماذا؟ لأنه هناك تعصب مذهبي يعصف بالعالم الإسلامي . نعم لا أقول على مستوى العامة بل على مستوى الفقهاء و المفتين في معظم بلاد العالم الإسلامي يوجد تعصب مذهبي ويوجد تمسك بالموروث حتى ولو كان مخالفاً لما تدل عليه ظاهر النصوص، من القرآن والحديث ولكن بسبب الالف والعادة والتلقي في الصغر وكون هذا الأمر معروف في المجتمع يصعب على الإنسان بغير رأيه أو قناعته بهذا الحكم أو بهذه المسألة الفقهية وربما صار هذا التعصب بلاءً حتى أنه ليس من الأسرار انه كان هناك معارك تاريخية وهدمت بيوت وقدمت معارك وقتل أشخاص وسالت دماء بسبب ألوان التعصب المذهبي الذي حصل بين بعض الطوائف في بغداد وفي بلاد المشرق وفي غيرها فقد يقول قائل هذا بسبب هذه المذاهب إذن فلا بد من الحرب عليها وتحريم الانتساب المجرد إليها ودعوة الناس إلى نبذها ورفضها و هذا علي كل حال هو رأي أو نستطيع أن نعبر عنه بأنه منهج، منهج يدعو إلى نبذ المذاهب كلها، حتى مجرد الانتساب إلى هذه المذاهب والأخذ من الكتاب والسنة فحسب و نحن جميعا متفقون على أنه يجب الأخذ من الكتاب والسنة واجماع الأمة فحسب ولكن هل ترفض هذه المذاهب ويدعى الناس إلى أخذ الكتاب والسنة أما أنه يمكن أن يرى الناس على الأخذ من الكتاب والسنة ولو كانوا منتسبين فمجرد الانتساب لا يضر، يعني كونك تقول مثلاً أنا شافعي أو أنا حنبلي أو أنا مالكي، أو حنفي، ليست العبرة بمجرد الاسم فهذا مثل ما تقول أنا من قبيلة كذا أو أنا من بلد كذا، ولكن العبرة أنت إذا كنت شافعيًا ثم عرفت دليلاً مخالفاً لمذهب إمامك هل تتبع الدليل أم تتبع مذهب الإمام فإن كنت تتبع الدليل فهذا لا يضر أما إن كنت تتبع مذهب الإمام وتترك الدليل

فهذا يضررك ولو تخليت عن الاسم ولو خلعت النسبة لكنك تركت الرجوع إلى الدليل الشرعي.

إذن العبرة بالطواعية والانقياد للدليل الشرعي وليست بمجرد الأسماء مع أننا نقول أن الأسماء ليست ملزمة ولا شريعة قائمة ولا قال أحد من أهل العلم أنه يجب على أحد أن يتسمى باسم معين أو أسم خاص اللهم إلا الأسماء الشرعية "الإيمان، الإسلام وما شابه ذلك أما هذه الأسماء وهذه النسب أمور ليست واجبة على أحد بحال من الأحوال، على كل حال قد يرى إنسان أن يعلن الحرب على هذه المناهج كما أشرت وهذا منهج ولكنه قد يستنفر عداوات كثيرة وعداوات ضخمة وأحياناً يواجه مع الاسف حججاً علمية في كثير من البلاد و تصبح المسألة بين شد و جذب ويصبح معظم الناس لا يفقهون من الأمر شيئاً ولكن هناك بالمقابل منهج آخر، منهج لا يعلن الحرب على الاسم لأن المشكلة ليست في الاسم بذاته ولكن يعلن الحرب على الانحراف الموجود في المضمون الموجود في الواقع الذي هو ترك الدليل الشرعي إلي قول فلان ورأي فلان فهذا المنهج لا يستهدف الإطاحة بالمذاهب كأسماء و عنوانين ولا فتات ولا يحاربها لذاتها ولكنه يحارب التعصب الممقوت ويحارب التقليد خاصة التقليد الأعمى غير المبصر الذي اتباع بالدليل ولكنه تقليد لفلان و فلان بغير حجة شرعية ويدعو هذا المنهج إلى العناية بالدليل الشرعي بكلام الله عز وجل وكلام الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام ويحارب أشد الحرب تلك الفئة التي تعرف الدليل الشرعي ثم تعرض عنه تعصبا لمذهب أو إمام أو قول.

عذيري من قوم يقولون كلما	طلبت دليلاً هكذا قال مالك
فان عدت قالوا هكذا قال أشعب	وقد كان لا تخفى عليه المسالك
فإن عدت قالوا قال سحنون مثله	ومن لم يقل مثله فهو أفك
فإن قلت قال الله صجوا واعولوا	وصاحوا و قالوا أنت قرن مباحك
وإن قلت قد قال الرسول فقولهم	أنت مالك في ترك ذلك المسالك

المهم هؤلاء الذين يرفضون الدليل أو يقولون كل نص خالف المذهب فهو منسوخ أو مؤول وانما نقرأ القرآن والسنة لمجرد التبرك لا شك أن هذا إلغاء للنص الشرعي، وتعييدهم للناس بما لم يعيدهم الله تعالى به ومن نعم الله على هذه الأمة في هذا الوقت أنها أصبحت تبحث عن الدليل وتبحث عن قال الله قال الرسول، وإذا تكلمت مع إنسان بقول أو أفتيته بفتوى قال لك أين الدليل أو ما هي الحجة أو ما أشبه ذلك وهذه لا شك من ظواهر الصحة الإيجابية التي يجب العمل على تعميقها وتنميتها وتوسيعها بقدر المستطاع. إذن نحن أمام منهجان أو طريقان المنهج الأول الذي يدعو إلى تحطيم المذاهب والقضاء عليها وإعلان

الحرب عليها جملة و تفصيلاً من دون تمييز وهذا المنهج قد ينجح بإخراج البعض من المذاهب ولكنه ينجح أيضا في عرس عداوات عند آخرين.

المنهج الثاني هو الذي يقول لا نحارب المنهج باسمه ضرورة لأن الاسم مباح مجرد ولكننا نحارب اتباع أقوال الأئمة وترك الكتاب والسنة أو اتباع قول فلان إذا تبين أنه مخالف للدليل وهكذا هذا المثال يمكن أن نطبقه بالنسبة لوسائل الإصلاح والتغيير والدعوة الموجودة اليوم فمن الممكن إعلان الحرب على مناهجها المختلفة بالنظر إلى الحزبيات القائمة والموجودة والتي أقول إنها تعصف بشباب هذه الأمة كالإعصار وتشق صفوفهم وتمزق وحدتهم وتوقر قلوب بعضهم على بعض، وكذلك إلى الأخطاء الموروثية التي تتكرر مرة بعد مرة والنظر إلى التجارب الفاشلة الموجودة هنا وهناك وفي بلاد كثيرة، إذا من الممكن أن ينظر الإنسان إلى هذه السلبيات فيعلن الحرب عليها كلها جميعا وهذا منهج في مواجهة هذا الواقع على كل حال هناك منهج آخر يستطيع أن يميز في هذه المناهج والطرائق ووسائل الدعوة بين الحلال والحرام وبين النافع والضار فيشيد بالنافع والمباح أو المشروع ويثني عليه ويمنع الضار أو المحرم وينكره ويدعو إلى تركه ومباعدته بالأسلوب الحسن بالقدر المستطاع فإن الحرام لا يجامل فيه أحد بل يجب النهي عنه بدليله وما عند الله تعالى لا ينال بمعصيته قط فلا يمكن أن تكون الدعوة بوسيلة محرمة أبدا ولا يمكن أن يكون الأمر بالمعروف أو الجهاد بأسلوب لا يحله الله تعالى ورسوله بل الله تعالى يقول "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" والدعوة إلى الله على بصيرة تعني الدعوة بعلم و بمعرفة بالحلال والحرام ومعرفة بنصوص الشرع ويقول الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" فقال ادع إلى سبيل ربك فلا بد أن تعرف سبيل الله وسبيل الله تعالى هو دينه هو منهجه هو طريقته التي أمر بها عباده ولا يمكن أن يدعو إليها إنسان وهو لا يعرفها إذن لا بد أن يعرف الإنسان الحرام فينهى عنه ويحذر منه ولا يجوز أن يفعل الإنسان الحرام حتى ولو كان بنية صالحة فإن النية الصالحة لا تقلب الحرام إلى الحلال بأي حال من الأحوال، بل يبقى الحرام حراما والنية أمرها عند الله تعالى.

نحن ليس لنا بقلبك علاقة علاقتنا بعلمك هذا انه حرام ولا يجوز قال الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما نيتك وقصدك فنحن منه براء لا ندري منه شيء وأنت أمرك إلى الله تعالى فالحرام إذن ما حرمه الله تعالى ورسوله أما بنهي صريح لا صارف له أو وعيد على فاعله أو ما أشبه ذلك سواء كان من صغائر الذنوب أو من كبائرها فما كان حراما فلا يجوز أن نتذرع به إلى دعوة ولا إلى علم ولا إلى جهاد ولا إلى أمر ولا إلى نهى أما ما لا يدخل في دائرة الحرام ولكننا لم نعبد به أو لا نراه أو لا يتفق مع قناعات ذاتية موجودة عندنا أو لا يتفق مع تربية تربينا عليها أو لا يتفق مع ما تلقيناه فهذا من الممكن أن نتركه نحن وندعه ولا نستخدمه و نعرض عنه ولكننا لا نحاسب على فاعله بالإنكار والعيب والذم ما دام اننا لا نستطيع أن نقول أنه حرام أما إذا كان الأمر اننا نقول هو حرام وطرف آخر يقول لا ليس حرام فيها هنا وجد خلاف هل هو من باب الحرام فيجب تركه أم من المباح فيجوز فعله فهنا بإمكاننا سلوك أحد السبيلين: السبيل الأول الجدل بالتي أحسن لا مانع ناقشني وأناقشك بدون رفع أصوات ولا مغاضبة ولا مسأخطة ولا يسوء ظنك بي ولا تجد على في نفسك لكن ناقشني بالتي هي أحسن وبالكلمة الطيبة وربك جل وعلا قال "ولا تجادلوا أهل الكتاب" يعني اليهود والنصارى "إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم" إذن

المسلمون أولى بأن يجادلوا بالتي هي أحسن قال الله تعالى " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة وبالموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن " الكلمة الطيبة " وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن " فالمناقشة والأخذ والعطاء ربما يتبين لك فيها شيئاً لم يكن واضحاً أو على الأقل تعذر الآخر أو ربما يتبين له الحق فيأخذ به فإذا لم يكن النقاش ممكناً أو لم يوصل إلى نتيجة فهنا الحل الثاني وهو الرجوع إلى العلماء للاستشارة بعلمهم كما قال عز وجل من موضعين في كتابه " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " وأهل الذكر هو أهل العلم بالقرآن والعلم بالسنة وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أهل السنة في قصة صاحب الشجة أنه عليه الصلاة والسلام قال لبعض أصحابه قتلوه قتلهم الله الا سألوهم إذ لم يعلموا وإنما شفاء العي السؤال فالرجوع إلى أهل العلم ومناقشتهم والاجتماع عندهم والأخذ من علمهم هذا من أسباب توحيد الكلمة والوصول إلى الحق وأحياناً قد يكون الخلاف لفظياً أو شبه لفظي واضرب لذلك مثلاً واحداً " ان الخلاف قد يطول ويعرض ولو تأمله العاقل لوجد انه قريب من قريب أو أن الخلاف يسير يحتمل ويحتمل " . مسألة وسائل الدعوة هل وسائل الدعوة إلى الله تعالى ووسائل توقيفية بمعنى أنها من عند الله ومن عند الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يجوز وسيلة من وسائل الدعوة إلا ويكون جاء إذن شرعي بها ؟ أم أن وسائل الدعوة مبنية على الإباحة ويجوز إستخدام ما لم تكن محرمة ؟ القائلون بالتوقيف أن وسائل الدعوة توقيفية يعنون والله أعلم أن جوهر الدعوة من عند الله تعالى فلا بد من الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة ولا بد من تربية الناس على هذا المعنى العظيم الذي بعث من أجله الرسل وأنزلت من أجله الكتاب وعقدت من أجله ألوية الجهاد ألا وهو دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى "اعبدوا الله مالكم من إله غيره" "ألا تعبدوا إلا الله" "وقولوا لا إله إلا الله تفلحوا" هذا المعنى يجب دعوة الناس إليه وتربيتهم عليه وتعليمهم له والدندنه حول هذا المعنى دون كلل ولا ملل هذا لا شك انه حق كله ويجب أن يكون موضع اتفاق بين الجميع.

أما القائلون بعدم التوقيف يعني أن وسائل الدعوة مباحة الأصل فيها الإباحة وكل وسيلة ليست محرمة يجوز أن تستخدم للدعوة إذا ظن الإنسان انها تنفع فإنهم يوافقون أو يجب أن يوافقون على ما سبق ولكنه يرون جواز استخدام كل وسيلة أو ذريعة تؤدي إلى الغرض مالم تكن حراماً ومن ذلك اسلوب تأليف قلوب الناس على الخير تأليف قلوبهم بالدعوة إلى الطعام أو السفر معهم أو الرحلة أو المشاركة في بعض أعمالهم المباحة أو تطيب خاطرهم وإزالة الوحشة منهم بكل أمر مباح لا يمكن أن يقال منه تأليف القلوب والدعوة إلى الله أن تذهب إلى قوم على لهو ولعب ورقص وسكر وعربده وفجور وتكون معهم على ذلك لأنك تألف قلوبهم، أو لأن هذه وسيلة دعوة، هذا لا يجوز ولا يمكن أن يكون أبداً لأن الأمر محرم ومفروع منه ، لكن هب أنهم على أمر مباح أنت لا تريده لنفسك ولكن رأيت أن مشاركتهم فيه قد تكون سبباً في تأليف قلوبهم أو تقربها أو تحيئها إلى الخير أو ما أشبه ذلك من الأمور، يعني من باب تأليف القلوب الذي عمل به الرسول عليه الصلاة والسلام . ولهذا يتفق الطرفان معاً، القائلون بأن وسائل الدعوة توقيفية أو الذين يقولون بأنها ليست توقيفية، يتفقون معاً على أنه لا يشترط للوسيلة من وسائل الدعوة أن يكون منصوص عليها بذاتها وعينها، مع أننا لو قلنا أن الوسائل توقيفية محضه، كالقرب المحضه كالعبادات، لم يكن كافياً أن تكون الوسيلة لها أصل في الشرع مثلاً، بل يجب أن يكون منصوص عليها في وقتها وفي سببها وفي صفتها وفي

زمانها وفي مكانها مثال الصلاة، الصلاة عبادة والعبادات توقيفية يعني ما يجوز أن يأتي أحد من جيبه بصلاة لم تشرع وأمر الناس بها، بل يجب أن تكون الصلاة مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم مأثورة في عدد ركعاتها، مأثورة في صفة ركوعها وسجودها وقيامها وقعودها، مأثورة في سببها كصلاة الضحى مثلا أو صلاة الوضوء أو صلاة الاستخارة أو صلاة الفتح أو ما أشبه ذلك . مأثورة في زمانها مأثورة في مكانها إلى غير ذلك.

فها هنا بالنسبة للصلاة كل هذه الأشياء محدودة، لكن لو نظرنا إلى مثال آخر وهو : التعليم هل يمكن أن نقول إن التعليم وسائله توقيفية مثل ماهى الحال بالنسبة للصلاة لو قلنا ذلك لو جدنا أن الصورة اليوم، بل الموجودة منذ سنوات بل منذ قرون في العالم الإسلامي للتعليم لم تكن موجودة في الصدر الأول فالمرحلة الدراسية والمناهج الدراسية والكتب والشهادات والامتحانات وطريقة التدريس وطريقة السكن وتسجيل الطلاب وتدوينهم وتصنيفهم وغير ذلك كل هذه الأشياء لم تكن موجودة بتفاصيلها في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل لم تكن الكتب ألقت آنذاك ولما هم الصحابة رضى الله عنهم بتدوين السنة احتج بعضهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال كما في حديث أبي سعيد " لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن ومن كتب عني شيء غير القرآن فليمحه " ولكن يرجع الرأي القائل بمشروعية الكتابة بل بوجوبها لنصوص كثيرة معروفة وللحاجة الماسة خشية ضياع السنة النبوية.

إذاً لو نظرنا إلى التعليم واعتبرناه أمراً عبادياً توقيفياً يجب أن يكون منصوفاً في زمانه ومكانه وصفته وسببه وعدده وما أشبه ذلك، لم نجد أن الصورة القائمة هي الصورة الموجودة في العهد الأول ولكن نقول نعم العلم الشرعي عبادة يجب أن يقصد فيه وجه الله ويراد به ما عند الله تعالى ولا يقصد به عرض من أعراض الدنيا ويخلص الإنسان فيه النية ويرافقه بالعلم النافع بالعمل الصالح بالدعوة بالخلق الفاضل وما أشبه ذلك، لكن لا يلزم أن تكون كل هذه التفاصيل منصوفاً عليها بذاتها، وإن كان لها أصل في ما هو موجود في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، لكن لو قلنا أن الأمر تعدي محض لم يكن كافياً وجود الأصل بل لابد من وجود النص على التفاصيل رأيت لو نظم أحد أمر الصلاة كما ينظم التعليم مثلا فجعل لكل فئة من الناس زمانا خاصاً للصلاة خاصة ومكان خاص وطريقة خاصة يتبعونها بها أفيجوز هذا، كلا لا يجوز، إذن نخلص من هذا إلى أن السعي في إصلاح المناهج الدعوية وإعادتها إلى الكتاب والسنة فيه خير كثير إن شاء الله تعالى ثم لا يمنع بعد ذلك أن تتنوع النشاطات فهذا ينشط مع العامة وهذا ينشط مع الخاصة، وهذا يتحرك في أوساط الشعب ، وهذا يتحرك في الدوائر الرسمية، وهذا يشتغل بالمال، وهذا يشتغل بالجهد والجميع متفقون على المنهج الشرعي الصحيح على الكتاب والسنة، على الرد إلى الله والرسول، على عدم التعصب، وعلى عدم ازدراء الآخرين أو تنقصهم أو الاستخفاف بجهدهم، إننا نحتاج إلى هذا كله ونحتاج إلى الصبر، وسعة البال، والحلم، والحكمة، وأن نقابل الإساءة بالإحسان والمنكر بالمعروف، وأن يكون لسان حال الواحد منا كما أمر الله تعالى "إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم" إننا أحيانا أيها الأخوة نغضب لأنفسنا و أشخاصنا أكثر مما تغضب لمناهجنا أتدري كيف؟ أضرب لك مثالا: لك جار لا يصلي الصلوات وأنت اليوم صابر عليه، على مدى سنوات ربما سنتين أو ثلاث وأنت تقول نصبر عليه ندعوه إلى الله تعالى نسلك معه الأسلوب الحسن

بالمراسلة، بالاتصال، بالزيارة وبذلت معه مجهوداً كبيراً وأنت صابر، ثم لقيته يوماً من الأيام فدعوته إلى الله فقال لك: ما لك بي علاقة مالك ولي، دعني وشأني أنت فيك كذا، وفيك كذا ثم طفق يسبك وبشتمك ويتكلم فيك، فتجد أنك حينئذ غضبت أشد الغضب وفار دمك، وانشدت أعصابك ثم قلت لا يمكن أن نصبر عليه أبداً هذا الإنسان ليس فيه خير، هذا من سنوات لا يصلي، لا بد أن يخرج هذا اليوم من المنزل، طيب لماذا هذا الغضب ادخرته لموقف شخصي، لماذا ما غضبت يوم كان هذا الإنسان مفرط في شعيره من أعظم الشعائر، وربما كان أهل بيته أحياناً يشكون منه أنه لا يؤدي الصلاة أو ربما يشرب الخمر، أو ربما يقع في معاصي، وكله كنت صابراً، فلما مسك في شخصك بعض الأذى، تجد أن الواحد منا أنشدت أعصابه وغضب، فها هنا تبين لك أن غضبي وغضبك حينئذ كان للشخص انتصاراً للنفس أكثر من كونه انتصاراً للمنهج يجب أن يكون لسان حالك كما قال الأول وإن الذي بيني "اعني بالنسبة لإخوانك من الدعاة وإخوانك من طلبة العلم وزملائك

أن الذي بيني وبين
بني أخي

وبين بني عمي
لمختلف جدا

فإن أكلوا لحمي وفرت وإن هدموا مجدي بنيت
لحومهم لهم مجدا

ولا أحمل الحقد القديم وليس رئيس القوم من
عليهم يحمل الحقدا

إن المروءة والصبر والرجولة والإيمان والخلق الكريم هي التي تحتاج إلى الرجال أما المعاملة بالمثل والشد وما أشبه ذلك فهذه كل أحد قد يحسنها، إننا نحتاج إلى كل الجهود، وإلى كل الطاقات المخلصة المتفهمة هنا على الرد إلى الله والرسول وعلى العمل بالكتاب والسنة وعلى المنهج الشرعي السلفي الصحيح نحتاج إلى هذا كله وهو أمر عظيم لا تقوم به فئة، فكيف تستطيع فئة أن تقوم بالجهاد، وبتعليم الناس العقيدة، في تعليم الأحكام، في ترقية الناس بدينهم، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الدعوة في الوعظ إلى غير ذلك من الأبواب العظيمة، كل هذا لا يمكن أن يقوم به إلا مجموع الأمة و مجموع فئاتها المخلصة القائمة على المنهج الصحيح، التي لم تتلوث أو تتلطح بدعة ان انحراف، ومهما أخلصت فئة واحدة أو اجتهدت فإنها لا تستطيع أن تغطي كل هذه الميادين، فلماذا لا تتطافر جهود المخلصين على الإصلاح.

ولماذا لا يتفق المسلمون على كلمة سواء إن الله تعالى يقول في القرآن "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله" أفيعجز المسلمون أن يدعوا بعضهم بعضاً إلى كلمة سواء على كتاب الله وعلى سنة رسوله صلي الله عليه وسلم. دعني أتخلص من كل قناعاتي الشخصية، وكل آرائني الذاتية، وكل اجتهاداتي دعها خارجاً، وكذلك أنت وتعال إلى القرآن المحفوظ وتعال إلى الحديث الثابت بالإسناد الصحيح، وتعال إلى إجماع الأمة ودعنا من بنيات الطريق فهذا الحق ليس به خفاء فدعني من بنيات الطريق.

إن المسلمين أهل كتاب وسنة، فهم أولى بالدعوة إلى توحيد الله وحده
وآلا يشركوا به شيئاً، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، لامن
السلاطين الطغاة الذين بدلوا نعمة الله كفراً، وبدلوا شريعة الله تعالى،
وتلاعبوا بأحكامه، وحكموا الأمة بغير كتاب الله، ولا من العلماء الذين إنما
هم أدلاء على طريق الحق يدلون الناس على طريق الحق ويرشدونهم
إليه بالكلام الشرعي بالحديث وبالذليل من كتاب أو سنة، "ولا يتخذ
بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون"
بل ما الذي يمنع مادمت ملتزماً بالحق، وبما دل عليه الكتاب والسنة في
أبواب الاعتقاد وفي أبواب العبادة، وفي أبواب الخلق، وفي الأمور كلها،
ما الذي يمنع من أن يتخصص بعضنا في الدعوة إلى جانب يحسنه ولا
يحسن غيره، فتعنتني أنت مثلاً بالوعظ لأن الله تعالى أعطاك قلباً رقيقاً
أعطاك لساناً عذباً أعطاك استحضاراً للنصوص وأعطاك قدرة على
التأثير فأنت تشتغل بالوعظ وترقق قلوب الناس مع مراعاة الضوابط ، لا
تستدل بحديث موضوع ولا بحديث ضعيف ولا تدخل إلى أبواب الانحراف
والغلو، وعليك بمراعاة الضوابط الشرعية، ولو غلب هذا الجانب عليك
وعرفت به ولم تعرف بغيره فإن هذا لا يضر، وآخر يعتني بتعليم الناس
العقيدة وأبوابها ونصوصها ويدعوهم إليه، ويربهم عليها، ولا يكل ولا
يمل من ذلك ولو غلب هذا الأمر عليه وعرف به ، إخراجاً للكتب وتأليفاً
وتدريسا، وتعليماً، وخطابة وغير ذلك فإن هذا يسد فراغاً تحتاجه الأمة
أيما حاجة، بل هو أعظم حاجة تحتاجها الأمة، أن تقوى قلوبها بالمعتقد
الصحيح الذي يربطها بحبة الله تعالى وخوفه ورجائه وألا يخافوا إلا الله
، وثالث يشتغل بالفقه والفتيا وبيان الحلال والحرام بالذليل، حتى لو
عرف بذلك ولم يعرف بغيره، ورابع يشتغل بالأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر بكل وسيلة مباحة ولو ذهبت روحه في ذلك، وقد ذكر للإمام أحمد
رحمه الله تعالى ، رجلاً عالماً فاضلاً من زملائه وخلصائه وهو الإمام
محمد بن نصر الخزازي الذي صلب في الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر صلب على الأعواد في الميدان العام، فقال الإمام أحمد بعدما دعا
له وترحم عليه وقال ذلك رجل هانت عليه نفسه في ذات الله تعالى، إذا
ما الذي يمنع أن ينبرى من الأمة رجال مجاهدون همهم الجهاد في ميدان
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بكل وسيلة وبكل سبيل
ولو ذهبت أرواحهم في هذا السبيل، فقاتلهم يقول:

ربي لك الحمد لا
أحصى الجميلاً إذا
نفثت يوماً
شكاة القلب في كرب

فلا تؤاخذ إذا زل اللسان سوي الحمد في
وما شيء
الضراء يحمل بي

لك الحياة كما ترضى
بشاشتها
في ما تحب وإن
باتت على غضبي

رضيت في حبك الأيام
جائرة
فعلقم الدهر إن
أرضاك كالعذب

شكراً لفضلك إذ حملت
كاهلنا
مما وثقت بنا ما
كان من نوب

ولا يمنع أيضا أن يكون هناك خامس بتحليل الاحداث السياسية وآثارها على العالم الإسلامي، وسادس يهتم بتحليل الاحداث الاجتماعية وموقف المسلمين منها وهكذا يكمل بعضهم بعضا فهذا الأمر يتحقق وفق شروط.

الشرط الأول: أن يكون الجميع ملتزمين بالمنهج الحق، ما هو المنهج؟ المنهج ثلاثة أمور قال الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أجمعت الأمة، هذه هي أصول المنهج، ملتزمين بالمنهج، ويبقى لكل فرد منا أو لكل فئة منا إجتهدهم الخاص الذي لا يخالف هذا المنهج، فهذه قاعدة مشتركة عند كل الطوائف أن يكونوا ملتزمين بالمنهج الحق.

الشرط الثاني: أن يكمل بعضهم بعضا ويعزز بعضهم بعضا ويتناصروا فيما بينهم على الحق، ومن التناصر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري " أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " أما إن كان ظالماً فتنصره برده عن الظلم أما إن كان مظلوماً فإنك تأخذ حقه وهكذا تنصره مخطئاً أو مصيباً، فإن كان مصيباً فانصره بتعزيز ما قال، وإن كان مخطئاً فخذ على يده وبين له الحق إذا فلا بد من التناصر فيما بيننا، وإن تكون العلاقة، علاقة محبة ووثام، وقلوب سليمة مترابطة، اليد في اليد، والقلب مع القلب، والنفس مع النفس، لا أن تكون العلاقة علاقة تناحر و تباعد، وتشاحن وتقاطع، وكل أمرء يجاذب الآخر وينازعه، وهذا هو مقتضى نصوص الشريعة قال الله عزوجل " وما كان المؤمنون لينفروا كافة " يعني في العلم أو الجهاد " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون " إذن لا يمكن أن يخرجوا كلهم للجهاد، ولا للعلم، لكن يخرج منهم طائفة للجهاد وطوائف للعلم ليتحقق بذلك التعليم ويتحقق بذلك الجهاد، وهم يكمل بعضهم بعضا، ويتناوبون القيام بغروض الكفاية، وقال تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " فأمر سبحانه بأن يتعاون المؤمنون فيما بينهم على كل بر وتقوى، من طاعة الله والدعوة إلى دينه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك وقال سبحانه " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " وقال صلى الله عليه وسلم " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " والحديث الآخر وكلاهما في الصحيح " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتك منه عضو تداعى له سائر الأعضاء " هل رأيت إنسانا يقطع عضواً أو يجرحه أو يشقه بالسكين أو يؤلمه كلا لا يفعل ذلك، فهكذا المؤمن للمؤمن، هو مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، إن رأى منه صواباً فرح وسر واستنار وجهه وأشرق قلبه، وإن رأى منه خطأ انزعج، ويئس لذلك وضاق صدره وتمنى ألا يقع، ثم ناصحه بالأسلوب الذي يظن أنه يؤدي إلى المقصود .

• المنهج وليس الأشخاص

إن من أخطر الأمور أيها الأحبه، أن يكون التعلق بالأشخاص وليس بالمنهج والواقع أن الله تعالى أمرنا بإتباع شريعته، بإتباع الدين، بإتباع الشريعة بإتباع الحق لا بالأشخاص، حتى قال سبحانه "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم" ولهذا لما أشيع في معركة أحد ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل، جلس بعض الأنصار ووضعوا رؤوسهم على أيديهم، فمر بهم رجل من الصحابة فقال: لماذا جلستم قالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قوموا فموتوا على ما مات عليه صلى الله عليه وسلم، وكان بعضهم يحمل الراية كما فعل مصعب رضي الله عنه ويردد هذه الآية الكريمة "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الشاكرين" ان من صور الردة التعلق بالأشخاص، لا بالدين، لا بالمنهج، ولهذا المرتدون بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، كانت شبهتهم أنهم يقولون لا ندفع زكاتنا الا من كانت صلاته سكن لنا "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلي عليهم إن صلاتك سكناً لهم" فقالوا مات الذي صلاته سكن لنا فلا ندفع زكاتنا بعد ذلك لأحد، وقال قائلهم:

أطعنا رسول الله إذ فيا لعباد الله ما لأبي
كان بيننا بكر

ا يورثها بكرة إذا مات و تلك لعمر الله قاصمة
بعده الظهر

فقام عليهم الصحابة رضي الله عنهم وقتلواهم أجمعين، وانما كان من أسباب ردتهم تعلقهم بالأشخاص، والأشخاص يذهبون ويحيئون، وينبغي أن نراعى أمراً مهماً جداً وهو: ان المنهج معصوم أما الأشخاص فغير معصومين ولذلك إذا ارتبطنا في المنهج ضمنا الا نقع في الخطأ، لكن إذا ارتبطنا بأشخاص فإن هؤلاء الأشخاص ربما يتبين منهم أخطاء كثيرة. يتبين منهم

أولاً: النقص الفطري الجبلي الموجود في الإنسان فإن الإنسان ضعيف بطبعه ، مجبول على النقص بأصل تكوينه وهذا الأمر لا ينفك عن الإنسان بحال، فهو عاجز عن أن يشتمل على أمور الخير كلها، ومن هو من الناس القادر على أن يقوم بكل الواجبات، وكل الفروض الكفائيات، وكل السنن، وكل المستحبات لا أحد يقدر على ذلك كله .

الثاني : الذي يتعرض له الناس : الخطأ وكما قال عليه الصلاة والسلام كما في حديث الترمذي "كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون" كل الناس يخطئ حتى أبو بكر رضي الله عنه قال في حديث الرؤيا بأبي أنت وأمي يا رسول الله دعني أعبر هذه الرؤية فعبرها أبو بكر رضي الله عنه فقال والله يا رسول لتخبرني أصبت أم أخطأت قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً والحديث صحيح إذن الخطأ من شيمة الإنسان، ومن طبعه وإذا كان قليلا عند السابقين فما بالك بأهل هذا لزمان، انهم معدن الخطأ ومطنته وليس الغريب أن يخطئوا،

بل الغريب ألا يخطئوا إلا من عصمه الله عز وجل ونسأل الله لنا ولكم أن يعصمنا من الخطأ والزلل إنه على كل شيء قدير، عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخطأ وفي الأثر المشهور وقف على المنبر وتكلم فردت عليه امرأة وهذا الأثر احتج به ابن تيمية رحمه الله وصححه السيوطي وغير واحد من أهل العلم وليس مشكلة أن يصح أو لا يصح، المهم أن الأثر ان عمر قام على المنبر يتكلم في تحديد الصداق والنهي عنه فقامت امرأة فردت عليه فقال عمر يخاطب نفسه مه يعني كان ماذا أخطأ عمر وأصابت امرأة، الحق يؤخذ ممن جاء به، والحق لا يعرف صغيرا ولا كبيرا، إذن يجب أن ندرك أن الخطأ من شيمة الإنسان

الأمر الثالث الذي يتعرض له الإنسان أيضا هو : الانحراف فقد يضل والعياذ بالله بعد الهدى، ولهذا استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم من الحور بعد الكور، يعني الضلال بعد الهدى " ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا" وكان عليه الصلاة والسلام يكثر أن يقول "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" ونعرف أن ممن أسلم مع الرسول صلى الله عليه وسلم وبايعوه من ارتدوا عن دينهم كعبيد الله بن جحش الذي ارتد وتنصر في الحبشة ومات هناك نصرانياً، وكالرجال بن عنقوه الذي أسلم ثم ارتد في اليمامة، وكان من وزراء مسيلمة الكذاب وقد جاء في الحديث "أن ضرسه في النار أعظم من جبل أحد" وهناك من ارتدوا وعادوا إلى الإسلام مرة أخرى كما هو معروف، المهم أن الانحراف وارد على الإنسان، خاصة مادام في حال الحياة.

فأنت إذا اعتبرت الشخص منهجك، قلت لماذا قال كذا ولماذا لم يتكلم في كذا، ولماذا فعل كذا، ولماذا بالغ في كذا، ولماذا نقص في كذا ولماذا ولماذا؟ ولكنك لو وضعت هذا الشخص في إطاره الطبيعي في إطاره الصحيح وضعه واعطاه، أو فقيهاً أو مفتياً أو داعياً أو محللاً سياسياً أو ما شئت ولا تطالبه بأكثر من ذلك، اطلب منه الشيء الذي يحسنه والذي يقدر عليه والذي يجيده ولا تطالبه بما لا يجيد، ولا تعتقد أنك تدعو إلى ما دعا إليه فلان، دعا فلان إلى جانب وأنت تحتاج إلى جوانب يكملها غيره، فلا تقصد نفسك على هذا الإنسان، لا تقرأ إلا منه ولا تسمع إلا منه ولا تتلمذ إلا على يديه، لا.. خذ الحق ممن جاء به، ونوع المشارب، وخذ من أهل العلم كلهم ومن الدعاة كلهم، المهم لا تعتقد أن الشخص منهج بحال من الأحوال، فإنك حينئذ تضر نفسك وتضر هذا الإنسان، بل يجب أن تضعه في إطاره الصحيح، فإذا كان هذا الإنسان نافعا فقل هذه حاله إيجابيه وجود فلان جزاه الله خير واعط جيد ولكنه غير فقيه، إذا كان وعظه منضبط بالضوابط الشرعية نقول تمام هذا نريده ونحتاجه والقلوب اليوم قد قست فهي كالحجارة أو أشد قسوة فنحتاج إلى هذا الإنسان يرفق قلوب الناس ولا نطالبه بأكثر مما يمكن، نقول هذه حاله ايجابية نشئ عليها ونؤيدها ونزكيها ونطلب من الناس أن يستمعوا إليه في الوعظ، ولكن الفتيا يأخذونها من غيره، إذن أنت إذا نظرت إلى هذا الإنسان على أنه حاله إيجابية وظاهرة طيبة أثبتت على الخير وانتقدت الأخطاء والملاحظات والمنهج لا يؤخذ من هذا الإنسان بل يؤخذ من الأمة بجملتها فإن الأمة بجملتها تمثل المنهج.

الأمة أيضا معصومة ولا يمكن أن تجتمع على ضلالة كما جاء في الحديث وله شواهد أن الأمة لا يمكن أن تجتمع أو تنفق أو تجمع على ضلالة، وهذا يغطي جانب وغيره يغطي جوانب أخرى، وإذا كان عنده خطأ فإن الآخرين يصححون هذا الخطأ، إذن العصمة للمنهج للقرآن، للرسول عليه الصلاة والسلام، فالرسل معصومون فيما يبلغون عند ربهم عز وجل أما الأشخاص البشر الناس العاديين، فلا عصمة لهم ولا ينبغي أن يؤخذ المنهج من شخص أبدا، ولا يعتبر أن طريقة فلان منهج يتبع أبدا وانظر في التاريخ تجد ابن الجوزي، وابن الجوزي أين تصنفه؟ هو بالدرجة الأولى واعظ وخبير بشئون النفوس أما ابن قدامه فلا بد أنك سوف تضعه في قائمة الفقهاء، ولكن حينما تنتقل إلى ابن الأثير فستجد أنه مؤرخ أما المزي فهو في الغالب محدث، ولا يمنع أن لهؤلاء لهم مشاركة أخرى من العلوم، كمن ذكرت فإن كل واحد منهم ما قصر نفسه بعلمه بعينه ولكنه اشتهر بعلم أكثر منه غيره وله مشاركات أخرى، وقد يوجد من جمع علوم كثيرة، لكن لا يلزم من بروزه في علم أن يبرز في كل علم، ولا يلزم من حديثه في مسألة أو في أمر أن يتحدث في كل أمر، وليس من شرط المعلم أو الداعية أن يكون معصوماً، وإلا لم يدعوا أحد بعد الرسول عليه الصلاة والسلام.

إننا يجب أن نفرق بين الشرع وبين العالم أو الفقيه أو الداعية، فالشرع رباني نص من كتاب أو سنة، أما العالم والفقيه فهو إنسان بشرى بدل وسعه في معرفة الحق بالدليل إن كان كذلك، ومع هذا فهو عرضة للخطأ وله أجران إن أصاب وأجر واحد إن أخطأ وفتواه اجتهاد، وقوله اجتهاد وكلامه اجتهاد، وتحليله اجتهاد، فإذا كان يتحدث في قضية شرعية ليس فيها نص نقول هذا اجتهاد، وقد يخالفه غيره من أهل العلم، فما بالك إذا كان يتحدث في نصيحة اجتماعية لحل مشكلة بين الزوجين، هل نستطيع أن نقول أن هذا أمر لا بد منه، قد يجتهد برأي وينصح به ويكون الحق خلافه بل ما بالك إذا كان يتحدث في مسألة اقتصادية، ما بالك إذا كان يتحدث في هذه المسألة من الممكن جداً أن يخطئ، ما بالك إذا كان يتكلم في قضية سياسة يحللها أو يدرس أبعادها، أليس مظنة الخطأ، المختصون في هذا الأمر يخطئون غيرهم من باب الأولى، وهو لا يجوز أن يكون مترجماً عن الله والرسول عليه الصلاة والسلام ولا متكلماً بلسان الشرع، ولا معبراً عن المنهج وإنما هو يمثل نفسه ويعبر عن رؤية الشخصي، ولذلك كثيرون إذا وثقوا بشخص أصبحوا يتلقون كل ما يسمعون منه مباشرة أو بواسطة، يتلقونه بقدر كبير من التسليم والانقياد وعدم التأمل وعدم الدراسة وعدم التحري وعدم التمحيص وهذا خطأ، لأنه يختصر الأمة في أفراد، والأمة التي تختصر إلى أفراد أمة إلى ضياع وإلى بوار، وما دمر الأمة وقضى على امتيازاتها وإنجازاتها إلا يوم لخصت في أفراد سواء في المجال العلمي أو في المجال السياسي أو في المجال الدعوى، ففي المجال العلمي تجد أن رجلاً أو رجلاً يصبح الناس لا يقبلون إلا كلام فلان، ليس فقط في المسائل الخاصة وإلا هذا طبيعي، لكن حتى في المسائل العادية، لو أراد إنسان مثلاً أن يسأل عن كفارة اليمين، أو عن مسائل معروفة، ثابت بنص من كتاب أو سنة، ربما لا يسأل عنها عالماً معروفاً في بلده أو فقيهاً أو مفتياً حتى يسأل غيره، مما ترتب عليه مشقة كبيرة وعبء عظيم على بعض العلماء وبعض المفتين وبعض المشهورين الذين نذروا أنفسهم لله تعالى في هذا السبيل، أما في المجال السياسي فالأمر معروف، فقد أصبحت الأمة رضية بأن لا تفكر ولا تنظر ولا تتأمل، ولا تدرس المصالح والمفاسد، ولا تستخدم عقلها، ولا سمعها لتسمع ولا بصرها لترى لأنه كما يتردد وينقل الجميع أن الإنسان يستمتع برحلة ممتعة هادئة هائلة وقد ترك الأمر

لغيره، حتى دون أن يسأل أو يناقش مع أن الله تعالى جعل الأمة كلها مسئولة ولم يجعل المسئولية العلمية ولا السياسية ولا الدعوية على شخص واحد كذلك الحال بالنسبة للدعوة فقد يجد بعض الناس أو بعض الشباب شخص يعجب به، فيستمع إليه ويتابعه ويقراً له حتى ينطبع بشخصيته ويعجب بأرائه كلها فلا يصبح لديه قدره على التمحيص ولا على المراجعة ولا على الرد وهذا خطأ لأنه يختصر الأمة كما ذكرت في أفراد، والله تعالى قال "وأمرهم شورى بينهم" وقال تعالى "وشاورهم في الأمر" مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام مؤيد بالوحي من السماء، فالمشاورة فيها تعزيز للعقول وتنمية للمواهب، وجعل الجميع بأن الأمر لهم وهو شأنهم وقصبتهم، وهذه لكم أنتم وليست لي وإذا وقع خطأ فستحملونه جميعاً، لن يتحملة العالم وحده ولا الحاكم وحده، ولا الداعية وحده بل سيتحملة الجميع ولهذا واجب أن يشارك الجميع بالرأي والمشورة بالنقد البناء الهادف، بالدعاء وبكل وسيلة ممكنة. نعم إن أهل الشريعة علماء أو دعاة هم في الجملة أقدر من غيرهم على معرفة الصواب واتباعه، وهذا لا يلزم منه صوابهم في كل مسألة، ولا يلزم أن يؤخذ قولهم في كل أمر، أو نظرهم على أنه صواب قطعي، بل هو اجتهاد وهو محل نظر ولذلك تجد إن اختياراتنا تتأثر أحياناً بطبائعنا، بينتنا، بنمط تفكيرنا ولا تثريب علينا في ذلك، لأنه كما قال الله تعالى "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" فالنص الشرعي محفوظ "إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون" لكن عمل الإنسان في الاستنباط والاستدلال، وتطبيق النص على المحل واستخراج، هذا عمل اجتهاد من الإنسان، يتأثر بطبيعته بينته بأسلوب تفكيره، ولا تثريب عليه إذا بذل وسعه في ذلك . "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" "لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها" إن من الخطورة أيها الأحبه أن تتمحور الصحوة الإسلامية حول أشخاص، أو أن تتمحور الأمة كلها على أشخاص، سواء على الصعيد السياسي أو على الصعيد العلمي أو على الصعيد الدعوي، وقد محضتكم النصيحة بهذا الكلام .

وكم مرة أتبعتمكم
بنصيحتي

وقد يستفيد البغضة
المتنصح

• ليس من المنهج

يبدو جلياً أن المنهج يعني الخطوط العريضة، ويعني القواعد الكلية والأساسية التي تندرج تحتها كل التفاصيل، ولهذا ينبغي أن يكون المنهج محل اتفاق، أو على الأقل أن يكون المنهج ثابتاً بنص شرعي أو إجماع أحياناً قد يدخل بعض الدعاة المجتهدين في المنهج أشياء لا تثبت في الشرع، ولا يمكن أن نقول بشرعيتها فضلاً عن أن نقول بوجوبها، فمثلاً أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تجردت عن الأمر يعني الرسول عليه الصلاة والسلام فعل أمراً أو فعل شيئاً ولم يأمر به هل هذا الفعل المجرد من الرسول عليه الصلاة والسلام يدل على الوجوب ؟

قطعاً و يقيناً لا يدل على الوجوب، بل قد يدل على الاستحباب أو على الإباحة والجواز بحسب المقام ونوع هذا الشيء، فقد يدل على الاستحباب كما هي الحال في العبادات، وقد يدل على الجواز كما إذا كان فعلاً بعد الحظر أو ما أشبه ذلك المهم أن مجرد الفعل لا يدل على الوجوب فكون إنني اعتبر الأفعال المجردة أنها منهج يجب اتباعه واقتفائه حرفاً بحرف، وبنفس الترتيب وبنفس التسلسل وبنفس التاريخ

فإن هذا فيه نظر، فبعض الناس مثلاً يقول المرحلة الأولى الدعوة السرية ثم الدعوة العلانية ثم العرض على القبائل ويسميه بعض الأخوة والمجاهدين طلب النصر، يعني طلب النصر للدين من أقوام غير مؤمنين ثم الهجرة ثم الجهاد ثم يرتبون أشياء كثيرة، نقول شيء من ذلك حصل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لكن لو فرضنا أن قريباً آمنت بالنبي صلى الله عليه وسلم أسلمت والأمر لله لم يكن حينئذ هناك حاجة إلى العرض على القبائل لأن هذه القبيلة أسلمت وتعهدت بحماية الرسول عليه الصلاة والسلام إذن هذا الأمر أمر دعا إليه في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ظروف الدعوة ومتطلباتها وحاجاتها فلا يمكن أن نقول أنه نص يجب اتباعه أو أنه مبدأ متسلسل في الدعوة بل إن هذه الأشياء هي أفعال تدل إجمالاً على وجوب الدعوة وعلى وجوب التبليغ إلى الأمم والقبائل كلها أما اعتباران هذا التسلسل بهذا الترتيب وأنه لا يجوز الإخلال به ولا تقديم شيء على شيء فهذا ليس بواجب وليس بصحيح أيضاً ومن قال أن هذا التسلسل نفسه أنه تعدياً بل أن كثير منه هو أمر إتفاقي، حتى خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المعروف أنهم لم يخرجوا للقتال وإنما خرجوا للعبير أراد الله تعالى أن يكون القتال "وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم" فكانوا يتمنون أن يدركوا العبير ولا يحصل قتال ولكن الله تعالى أراد غير ذلك. إذن لا بد أن ندرك أن المنهج ينبغي أن يضبط بضوابط شرعية صحيحة وأمور متفق عليها. أما اعتبار أن التسلسل التاريخي، حتى بعض الناس يقول مثلاً نحن الآن في الفترة المكية، فلا نعمل شيئاً مما كان في الفترة المدنية، وهذا في الواقع تجزئة للدين وتبعض له وقول بوجود نسخ في الشرع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

• الاسم لا يكفي

إن أعظم الأسماء التي ذكرها الله في كتابه الإسلام والإيمان "هو سماكم المسلمين" وسمانا الله تعالى المؤمنين "والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض" فهذه أعظم الأسماء. ومع ذلك قد يوجد من يتسمى بالإسلام وقد يوجد من يتسمى بالإيمان ويكون عنده خلل عظيم أو تقصير، بل قد يوجد من يدعى الإسلام من هو كافر وهؤلاء المنافقون كانوا موجودين في ظهراي المؤمنين وكانوا كفاراً وهم في الدرك الأسفل من النار وقد ادعوا الإسلام فلم تنفعهم الدعوى والدعاوى مالم يقيموا عليها بينات أصحابها أو عيأء. وادعى قوم الإيمان فأكذبهم الله تعالى "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا" إذا يا أخي قد يدعى الواحد منا أنه مؤمن و مسلم وداعية وعالم وكذا وكذا وعلى المنهج الصحيح وعلى طريقة الأمة السابقة وعلى طريقة السلف الصالح وعلى طريقة العلماء وعلى وعلى.. والمهم في ذلك كله أن تكون هذه الأشياء يعززها الإنسان بالفعل. يعززها بالتطبيق، يعززها بالخلق يعززها بالعلم لأن هذا هو المعبر فإذا سمع الناس هذا الكلام وجدوا تطبيقاً يقول صدق. وإن أحسن قول أنت قائله قول يقال إذا أنشدته صدق فأقول إن أحسن دعوى أنت مدعيها هي الدعوى التي إذا قلتها أشار الناس إليك بالأكف وقالوا صدقت صدقت. أما الدعوة المجردة فلا تكفي قال الله تعالى "ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب، من يعمل سوءً يجزى به، ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن". المهم أن المسألة ليست بالأمانى ولا بالتمنى ولا بالتحلي كما قال الحسن البصري رحمه الله "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل".

إذاً العبرة في السلوك، العبرة بالعمل والاسم وحده لا يكفي وقد قال
الله تعالى "وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلما
يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء"
وقال الله تعالى "وقالوا لن يدخل الجن إلا من كان هوداً أو نصارى تلك
أمانيتهم" أحلام تطلعات رغبات لكن "قل هاتوا برهانكم إن كنتم
صادقين"

البرهان هو العمل، البرهان هو التطبيق فعلياً أن نكون عمليين فيما
ندعو إليه، ندعو الناس بأفعالنا، ونزكى أنفسنا بالعبادة بالعلم بالعقيدة
الصحيحة بالتقوى، ولا مانع بعد ذلك إذا لزم الأمر أن تزكيتها بشيء من
الكلام ترى أن له حاحه. أسأل الله تعالى أن يغفر لنا أجمعين وأن يسترنا
وإن يوفقنا للعمل الصالح الذي يقربنا إليه وإن يجعل اجتماعنا هذا
اجتماعاً مرحوماً وتفرقنا بعده تفرقاً معصوماً.